الفكر السياسي عند ساطع الحصري (1879–1968م)

يُعدّ ساطع الحصري النظرية الأبرز والرائد الأول لفلسفة القومية العربية المعاصرة. صاغ مشروعاً تنظيرياً علمانياً ومتماسكاً لبناء الأمة القومية، مستنداً إلى النظريات المثالية الثقافية (خاصة النموذج الألماني عند فيخته وهيردر). ركز الحصري على أن الأمة حقيقة موضوعية تاريخية وليست خياراً طوعياً أو صدفة سياسية.

أولاً: المقومات الأساسية للقومية والأمة (اللغة والتاريخ)

يرى الحصري أن الأمة تتشكل من عنصرين أساسيين لا يقبلان التجزئة:

- **اللغة - روح الأمة وحياتها:** اعتبر اللغة الوعاء الرابط بين الأفراد والتعبير الثقافي الأسمى عن الهوية. فاللغة تجعل التفكير والتواصل والتضامن أمراً ممكناً، وبدونها تتفكك الرابطة الاجتماعية.
- **التاريخ - ذاكرة الأمة وشعورها:** يرى أن المشاعر والذكريات التاريخية المشتركة هي التي تُغذي الوعي القومي. نبه إلى أن الأمة التي تنسى تاريخها تفقد شعورها بذاتها ووجودها الحضاري.
- **المفهوم الثقافي الموضوعي:** القومية عنده ليست مجرد "إرادة فردية" أو مصلحة اقتصادية طارئة، بل هي انتماء تاريخي ولغوي يعلو فوق رغبات الأفراد الآنية.

ثانياً: نفي المقومات الأخرى (الدين، الجغرافيا، والدولة)

قدّم الحصري قراءة نقدية للاتجاهات السائدة عبر استبعاد عناصر كانت تُعتبر أساسية للوحدة:

- **استبعاد الدين كعنصر رئيسي:** رأى أن الأديان (خاصة العالمية كالإسلام والمسيحية) عالمية عابرة للقوميات وتجمع أقواماً يتحدثون لغات مختلفة، ولذا لا يمكن للدين وحده تشكيل أمة سياسية بالمعنى القومي.
- **موقفه من الإسلام:** أكد أن نقده للدين كعنصر قومي لا يعني مناهضة الإسلام، بل اعتبر اللغة العربية ولغة القرآن عماد العروبة، وأن الحضارة الإسلامية هي الجزء الأبرز من التاريخ العربي.
- **الجغرافيا والدولة:** رفض اعتبار الحدود الجغرافية أو الدولة العارضة صانعة للقومية، مُبيّناً أن الحدود السياسية التي فرضها الاستعمار حدود مصطنعة لا تلغي حقيقة الأمة العربية الواحدة.

ثالثاً: مناهضة النزعة الإقليمية والجزئيات السياسية

خاض الحصري معارك فكرية حامية ضد دعاة الوطنية الإقليمية والرؤى الضيقة:

- **رفض النزعات الكيانية:** هاجم الأفكار التي تحاول إيجاد "قومية مصرية" أو "قومية سورية" أو "عراقية"، واعتبرها نتاجاً لتقسيمات سايكس بيكو وللسياسات الاستعمارية الهادفة لتمزيق الجسد العربي.
- **مفهوم العروبة الشاملة:** رأى أن سكان الدول العربية يمثلون أمة واحدة تتكلم لغة واحدة وتتشارك تاريخاً واحداً، وأن التجزئة السياسية حالة طارئة ومؤقتة يجب إزالتها بالوعي القومي.

رابعاً: التربية والتعليم كأداة لبناء الدولة القومية

ترجم الحصري أفكاره النظرية إلى تطبيقات عملية عبر مناهج التربية والتعليم (في سوريا والعراق):

- **توحيد المناهج وتأميم التعليم:** رفض المدارس الطائفية والخاصة التي تكرس الانقسام، وأصرّ على إيجاد نظام تعليمي رسمي موحد يحمي الهوية القومية والعلمانية.
- **غرس الفكر القومي لدى النشء:** جعل التاريخ العربي واللغة العربية محور التنشئة الوطنية، باعتبار المدرسة المؤسسة الرئيسية لتصنيع "المواطن العربي القومي".

خامساً: حتمية الوحدة العربية وموقفها من الغرب

نظر الحصري إلى الوحدة العربية باعتبارها غاية سياسية ومصيراً حتمياً:

- **مسار الوحدة التكاملي:** دعا إلى إزاحة الفوارق التدريجية عبر التضامن الثقافي والتربوي تمهيداً لقيام دولة عربية موحدة قادرة على حماية استقلالها.
- **مواجهة الاستعمار:** رأى في الوحدة العربية السلاح الوحيد للتحرر من السيطرة الأجنبية ومواجهة المطامع الاستعمارية والصهيونية في المنطقة.

مقارنة بين ركائز الفكر القومي عند الحصري والمقومات الأخرى

المحور / العنصر	موقف ساطع الحصري	التفسير والدور السياسي
اللغة والتاريخ	العنصران الأساسيان المقومان للأمة	اللغة هي روح الأمة والتاريخ ذاكرتها؛ وهما جوهر القومية العربية.
الدين	عامل ثقافي ثانوي وليس أساساً قومياً	الدين عالمي عابر للقوميات، والإسلام يتكامل مع العروبة لغوياً وحضارياً.
الإقليمية والجغرافيا	عوامل مرفوضة ومصنوعة استعمارياً	الحدود السياسية الحالية طارئة والحدود الجغرافية لا تصنع أمة مستقلة.
التعليم والتربية	الأداة التنفيذية لصناعة الوعي القومي	توحيد المناهج ونبذ التعليم الطائفي لبناء جيل قومي عربي موحد.

خلاصة وإرث فكري: *"اللغة تكوّن روح الأمة وحياتها، والتاريخ يكوّن ذاكرة الأمة وشعورها" — أضحت هذه المقولة الشعار الأبرز للفكر القومي العربي الذي أثر في أجيال من السياسيين، الأحزاب، والتربويين خلال القرن العشرين.*